

«الدعاء» مدرسة إيمانية



﴿قُلْ مَا يَعْبَدُونَ بِكُمْ رَبُّهُمْ لَوْلَا دُعَاءً أَفُكُمْ﴾ (الفرقان/ 77). هكذا يقول القرآن الحكيم وهو الحق، فإن الدعاء بالإضافة إلى أنّه يمد النفس بطاقة هائلة من النشاط والحيوية والجرأة في ميادين العمل والإقدام، إذ أنّ الشخص بالدعاء يرى نفسه متصلة بقوة خارقة بيده كل شيء وهو على كل أمر قادر. فتحف وطئة الألم وما إليه في ذاته، وهذا كاف في إمداده بقوة نفسية مثابرة، فيقدم نحو الأعمال بجرأة فائقة.. ويتجزع الغصص وهو واثق من أنها ستزول لأنّه يستمد من خالق الكون وهو قادر على إعانته لدفعها.

- أسباب عدم استجابة الدعاء؟ في الحديث القدسي أن بنى إسرائيل أصابهم قحط سبع سنين فخرج موسى (ع) يستسقي لهم في سبعين ألفاً، فأوحى الله تعالى إليه "كيف أستجيب لهم، وقد أطلت عليهم ذنوبهم، وسرائرهم خبيثة، يدعونني على غير ريقين، ويأذنون مكري". ارجع إلى عبد الله بن عباس قال له "بَرَحْ" يخرج "استجب له". فالإنسان لا بد وأن يصفي نفسه من الشوائب والذنوب والمعاصي حتى يضمن طريق الله في استجابة الدعاء لأن الدعاء لأن العبادة، كما جاء في الحديث فإذا أُستجيب الدعاء قُبّلت العبادة وكذلك إذا ردّ الدعاء ردّت العبادة. وهذا الحديث يعطينا صورة أخرى لثلاثة نقاط هي التي تحجب الدعاء من الاستجابة. كثرة الذنوب والمعاصي "وقد أطلت عليهم ذنوبهم" ما لا شك فيه بأن كثرة الذنوب والمعاصي التي يقوم بها الإنسان تحجب الدعاء من الاستجابة، وقد يطول ذلك مع استمرار المحرمات. وأعظم شيء مصيبة تحل بالإنسان هو سلب إستجابة الدعاء "ومع ذلك فإن سباهاته

وتعالى رءوف رحيم على عباده فالإنسان هو الذي يطغى ويتبتخر ويتكبر ويرتكب الذنوب والمعاصي بحق الله وبحق عباده ومع ذلك يفتح لهم باب التوبة. فيقول: (إِذْءُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) (غافر/ 60)، ويقول في حديث قدسي: "لا تمل من الدعاء، فإنني لا أمل من الإجابة" وأعظم من ذلك هو أن "الله تعالى يُنذّل ملكاً إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثالث الأخير، ولليلة الجمعة من أول الليل فيما أمره فينادي. هل من سائل فاعطيه، هل من تائب فأتوب عليه، هل من مستغفر فأغفر له، يا طالب الخير أقبل، ويا طالب الشر أقصر فلا يزال ينادي لذلك، حتى يطلع الفجر، فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملکوت السماء.

عدم اليقين "يدعونني على غير يقين". في الحديث فيما أوصى الله إلى عيسى (ع): "لا تدعُني إلا متصرّعاً إليّ، وهمك همٌ واحدٌ، فإنك متى تدعُني كذلك أجبك". فالليقين مرتبة عالية ليست بعدها مرتبة وليس من اليسير أن يصل إليه الإنسان، الا بعد أن يخلص الله سبحانه وتعالى في أفعاله وأقواله ويصغي قلبه ويظهر نيته من الشوائب حين ذلك يكون كما قال الله تعالى: "عبدي أطعني تكن مثلي"، قوله لشيء كن فيكون كما أقول لشيء كن فيكون لأن العلاقة بين الإنسان وبين الله تعالى علاقة المربي بالرب، علاقة المخلوق بالخالق، وعلاقة الفقير الفاني بالحي القيوم، فلذلك باستطاعة الإنسان أن يصل إلى هذا المستوى من الإيمان. والدعاء مدرسة إيمانية لمن يريد أن يكون طالباً فيها "فلا يبرم الدعاء إلا القضاء"، (إِذْءُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ)، (إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْ خُلُقَنَ جَهَنَّمَ دَآخِرِينَ) (غافر/ 60).

من أحد عدم إستجابة الدعاء هو خبث النفس وما تحمل من مكائد شريرة حيث تصل بالإنسان إلى درجة الإنحطاط فيطبع الله تعالى على قلبه فلا يرى إلا بمنظار نفسه فالحق معه حيثما كان إذن من البطال حقاً والحق باطلًا حيث يكن الويلات علىبني جنسه. وهذا كله من عمل الشيطان قد إتخذ صديقاً، "إن" الشيطان ينزع بينهم إن" الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً". ومن وصايا النبي (ص) لإبن مسعود، يا إبن مسعود إتخذ الشيطان عدواً، فإن الله تعالى يقول: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) (فاطر/ 6). وكما جاء في الحديث: "احذروا عدواً نفذ في الصدور خفيًا، ونفث في الأذان نجياً". إذن باستطاعة الإنسان المؤمن أن يتغلب على مكائد وخبائث الشيطان حين يتخد عدواً مبيناً. لأن إبليس قد نصب حبائمه في دار الغرور فما يقصد فيها الا أوليائنا" كما جاء في الحديث. ومن هنا لا بد وأن نعرف بأن هذه النقاط الثلاث حين يتتجاوزهم الإنسان ويسيطر في السمو الإيماني الرباني حين ذلك يصل إلى ما يبتغيه من مطالب إسلامية وإستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين". ربنا آمنا بما أنزلت وإتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. سبحانه ربنا ان كان وعد

ربنا مفعولاً . إنك أرحم الراحمين . ▶